الفصل الثالث

السيرة النبوية في كتابات المستشرقين الفرنسيين

المبحث الأول: {كتابات المستشرقين الفرنسيين وتفسيراتهم بشأن السيرة النبوية}

المبحث الثاني: {"حياة محمد" كتاب لأميل درمنغم نموذجاً للإستشراق الفرنسي}

المبحث الأول

كتابات المستشرقين الفرنسيين وتفسيراتهم بشأن السيرة النبوية

يقدم لنا القرآن الكريم والحديث الشريف، والمؤلفات الخاصة بالسيرة النبوية الشريفة معلومات قيمة تسلط الضوء على أهمية سيرة سيد المرسلين (ﷺ) في الدراسات التاريخية والدينية، إذ أنها تمثل بداية مرحلة جديدة في التاريخ العربي الإسلامي، بداية مبنية على القيم والموروثات التي أسسها رسول الله (ﷺ) في سيرته الكريمة.

وإذا ما قارنا سيرة نبينا الكريم (ﷺ) والمعلومات المتوفرة عنها، بسير الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، نجدها واضحة وبسيطة خالية إلى حد كبير من الدس والشوائب، لأنها مكتوبة من قبل علماء التاريخ وفق سلسلة الأسانيد المروية من كبار الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، على عكس ما حدث من تزويرات وإضافات في سير من سبق نبينا (ﷺ) من الأنبياء والرسل عليهم السلام جميعاً.

فالقرآن الكريم يقدم آيات كريمات فيها تسلسل تاريخي وموضوعي عن الرسول (ﷺ) وسيرته قبل البعثة النبوية الشريفة وبعد ذلك كقوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ ﴾[1].

ونظراً لأهمية حياة الرسول (ﷺ) وسيرته وعلاقاته مع أصحابه وأسرته رضوان الله عليهم، ناهيك عن علاقته الأساسية بالله تعالى عن طريق الوحي، فقد صارت محط أنظار المستشرقين عامة والفرنسيين خاصة. ويمكننا تتبع النشاط الفكري للإستشراق الفرنسي زمنياً على النحو الآتي:

---

(١) سورة الضحى، آية من (١-٨).

المرحلة الأولى

يطلق المؤرخون الأوروبيون مصطلح العصور الوسطى على السنوات التي تفصل بين انهيار المدنية الرومانية وبين ما تراءى لهم من فجر مدنية العصر الحديث[١].

لقد سبق وتحدثنا في المباحث السابقة عن أوضاع أوروبا عموماً في تلك القرون، إذ كانت تعيش مرحلة من الجهل والتخلف ومحاربة العلم والعقل، في حين كان العرب والإسلام يشيدون منارات العلم والحضارة في مواقع متعددة، أقربها لأوروبا – الأندلس، التي شهدت في بداية القرن العاشر نشاطاً ملحوظاً لأفراد وبعثات تتلمذت على أيدي العرب والمسلمين، حيث عبرت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه (SIGRID HUNKE) عن ذلك الحال بقولها: "لم يكن هناك أحد ليمنح أوروبا ما قبل القرون الوسطى أي اهتمام ... وأما أن يكون العرب في جوار قريب لها، هذا الشعب الرائد لغيره من الشعوب حاملاً مشعلاً للثقافة"[٢].

وفي الوقت الذي انصب فيه اهتمام طلبة العلم على نتاجات الحضارة العربية الإسلامية، في مجالات العلوم كافة فضلاً عن اللغة العربية، كانت هناك المساعي الحثيثة للكنيسة المسيحية، وعلى رأسها قمة هرم المؤسسة الدينية البابوية بتأثيرها على الملوك والدول والأديرة والرهبان، الذين مثلوا الطبقة المتعلمة، والتي رأت ضرورة تعلم العربية والاطلاع على مضامين الدين الإسلامي، لرد دعوته ومنع انتشاره. وفي الوقت نفسه الذي سعت فيه تلك الطبقة إلى تأجيج نيران التعصب الديني، وسَوق أوروبا إلى الحروب الصليبية، راح رجال الدين يحشدون الناس لمحاربة الإسلام، والقضاء عليه ويرونه ديناً منافساً للنصرانية، وكان ذلك واحداً من الدوافع الأساسية لهذه الحروب.

وخير من عبر من المستشرقين الفرنسيين عن هذه المرحلة بطرس المبجل PIERRE LE VENERABLE (١٠٩٤-١١٥٦م) الذي توج جهوده بترجمة القرآن (١١٤٣م) عبر استخدامه لمترجمين كما ورد في المباحث السابقة، مع بعض نصوص، منها عن حياة الرسول (ﷺ). لم تنتشر هذه الترجمات إلا بعد أربعة قرون من ترجمتها[٣]. وملخص رأي بطرس عن الرسول (ﷺ) ودينه الجديد ما هو إلا

---

(١) العريي، السيد الباز، الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى، [مطبعة دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٨] ج١، ص١.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ص١٢.

(٣) فوك، تاريخ حركة الإستشراق، ص١٧.

هرطقة مسيحية، وان المسلمين كفرة، ومحمد ليس بنبي وقد ساند قوى الشر فهو إما أداة للشيطان أو عميل له[١].

حفلت هذه المرحلة بالكتابات المليئة بالحقد والتعصب والأباطيل والخرافات والتشويه ضد النبي (ﷺ) والإسلام في فرنسا وأوروبا عموماً، وتركز الهجوم على شخص النبي (ﷺ) للتشكيك بنبوته، ومصدر القرآن، فلم يسلم حتى من أشعارهم واغنياتهم. وحتى اسمه جرى التشويش عليه وتشويهه بشكل متعمد وفاضح من خلال الخلط بين Mohamed (محمد) وMa hound (ما هوند) وتعني كلبي أي (ما ضمير المتكلم، وهوند = كلب) [٢]، حيث يتضح هنا تلاعب بظاهر اللفظ للإساءة لشخص الرسول[٣] (ﷺ).

ويرد في موسوعة "لاروس" الفرنسية (Larousse – Encyclopedia francaise) عرض لآراء الكتاب الذين سعوا للنيل من النبي (ﷺ) وعندما لم يجدوا ما يعيبونه به اتجهوا إلى الكذب والسباب "فقالوا في معنى محمد = ساحراً ممعناً في فساد الخلق، لص نياق، كاردينال لم ينجح في الوصول إلى البابوية فاخترع ديناً جديداً"[٤].

ونستنتج من هذا كله أن كتابات تلك المرحلة بخصوص السيرة النبوية والإسلام عامة، اتسمت بالعداء والتعصب وغلب عليها الطابع الأسطوري المرتكز إلى خيال خصب مجاف للحقيقة، وبعيد عن النهج العلمي، ويظهر فيها بوضوح تام افتقار هذه الدراسات إلى المصادر الرصينة العربية، إذ لم تكن معروفة لديهم، لذلك اضطر الكتّاب إلى تزييف الروايات والمعلومات•، وقد عبر عن ذلك المستشرق الفرنسي كارا دو فو (Carra De Vaux) (١٨٦٧ – ١٩٥٣م) حيث قال: "ظل محمد زمناً طويلاً معروفاً في الغرب معرفة سيئة فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلا نسبوها إليه"[٥].

وجاء تطور تعلم اللغة العربية والاهتمام الواسع الذي حظي به في فرنسا، ليشكل علامة بارزة في تطور فهم المستشرقين الفرنسيين للسيرة النبوية والإسلام،

---

(١) الشرقاوي، محمدعبدالله، الإستشراق، دراسةت حليلية تقويميه، [مطبعة المدينة، القاهرة، ١٩٩٣] ص٦١.

(٢) ناجي، تطور الإستشراق في دراسة التراث العربي، ص٨٧.

(٣) أسد، الإسلام في مفترق الطرق، ص٥٨.

(٤) جبري، عبدالمتعال، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص١١.

• انظر: M. Watt: Muhammed; prophet and statesman, p.231

(٥) الفراج، عدنان علي (الإستشراق والسيرة النبوية)، المنشورة في مجلة جامعة صدام للعلوم الإسلامية، العدد ٣، ١٩٩٦، ص١٢٧.

لأن اللغة العربية أهم أدوات فهم الإسلام بشكل صحيح. ومن هذا المنطلق تعامل المستشرقون الفرنسيون مع الشرق العربي المسلم معبرين عن إدراك واع للعلاقة العضوية بين العروبة والإسلام حيث يقول المستشرق الفرنسي كولبي: "ليست العربية لغة النبي ولا لغة الوحي فقط بل هي لغة الوحدة العقلية للأمة جمعاء، وقد شكل العرب رأس الحربة والطليعة التي حملت تعاليم الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها"[١]. كما عبر عن ذلك التطور غليوم بوستل Guillaume Postel (١٥٠١-١٥٨١م) الذي كان من أعضاء أولى البعثات إلى الشرق، في أعقاب تحسن العلاقات الفرنسية العثمانية، حيث برع في اللغات الشرقية، ومنها العربية التي قال عنها في كتابه "القرآن والإنجيل" (١٥٤٣م) إنها "أفصح اللغات آداباً وهي لغة أمة على رأسها محمد وهو أفصح من نطق بها"[٢].

يعبّر بوستل عن رأيه بالرغم من تعصبه الديني المسيحي والقومي الفرنسي، حيث كان حلمه أن تقود فرنسا عملاً تبشيرياً لتنصير الكفرة الوثنيين والسيطرة على العالم باسم المسيحية، حيث يعتبر الفرنسيين شعب الله المختار[٣].

يشارك جول لابوم (١٥٠٥-١٥٧١م)، الملقب بفيلسوف الجيل، بوستل في إعجابه بشخصية محمد (ﷺ) حيث يكتب في مقدمة فهرس القرآن أن العالم خلق من جديد بميلاد محمد وفتح عينيه على مبادئ عالية وشريفة[٤].

وعلى الرغم من أن معرفة الشرق أصبحت أكثر يسراً وسهولة عما كانت عليه في القرون التي سبقت، وذلك يرجع إلى اتساع الاتصالات بين الشرق والغرب، ما أثر بدوره على تغير صورة الإسلام والعرب عند الغربيين، إلا أننا نجد في كتابات آخرين المنهج العدائي التعصبي نفسه المستند إلى تزوير وتشويه الحقائق، حيث نجد ميشال بوديبه[٥] (Michel Baudier) في كتابه "التاريخ العام للأتراك مع سيرة محمد وأعمال الخلفاء الأربعة" (١٦٣٢م) يتجه اتجاهاً متطرفاً في تصوير حياة الرسول الخاصة مع أسرته ضمن المحور الذي شدد عليه المستشرقون (أي زوجات الرسول (ﷺ)) وكأنها حياة ترف وتهتك، وأنه عليه السلام كان خاضعاً خضوعاً تاماً لنزواته الشخصية العاطفية وهذا أمر نابع من واقع هذه الأمور في التفكير الغربي، حيث

---

(١) زهر الدين، صالح، الإسلام والإستشراق، ص١٦-١٧.

(٢) أبو الفتوح، سيد حافظ، قالوا عن الإسلام: رسائل إلى سلمان رشدي من كبار مفكري وفلاسفة العالم المسيحي، [مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩] ص١٠٣.

(٣) فوك، تاريخ حركة الإستشراق، ص٥٠.

(٤) أبو الفتوح، سيد حافظ، رسائل إلى سلمان رشدي، ص٦٣.

(٥) قاسمي، محمد وداغرون، شانتال، أحكام الغرب حول المسلمين والعرب ترجمة فقيهي الصحراوي [أفريقيا الشرق، ١٩٩٨] ص١٣٤.

التهتك وعدم احترام المرأة والمشاعية الجنسية إلى حد الإبتذال والحيوانية، فانعكس هذا كله في تصوير الرسول الكريم عليه السلام وخضوعه للذاته.

المرحلة الثانية:

اتسعت مساحة الاحتكاك والتعامل بين الشرق والغرب وفرنسا خصوصاً مع الديار الإسلامية والعربية منها بحكم المصالح السياسية والإقتصادية مع ما تقدم من تطور مدارس تعليم اللغات الشرقية والعربية منها، كل ذلك مصاحب لانتشار العلم والثقافة والفنون والآداب والفلسفات التي شكلت بدايات النهضة الأوروبية.

لا شك في أن كل هذه المتغيرات تركت آثاراً إيجابية على النظرة الأوروبية عموماً والفرنسية خصوصاً تجاه الإسلام ونبيه، وبالرغم من صلابة الجذور الصليبية، نجد منهجاً جديداً ولغة جديدة في التعبير عن فهم الإسلام وسيرة نبيه (ﷺ). يذكر ان نسخة من كتاب "حياة محمد" • (La vie de Mahomet) (١٧٣٠م) للمؤرخ الكونت هنري دو بولنفييه (١٦٥٨-١٧٢٢م)، موجودة في الجامعة الأميركية في بيروت وهي الطبعة الثانية - امستردام - دون ذكر تاريخ الطبع تحت رقم:
(Second Edition Amsterdam chez francois guion. B136-297-CA)

كان من أوائل الكتب التي اعتمد فيها منهج مختلف عن التوجهات العدائية السابقة وورد فيه الكثير من افتراءات العصور الوسطى وأثنى على دور الإسلام في نشر التوحيد من الهند حتى إسبانيا والقضاء على عبادة الأوثان، وقد اعتبرها إنجازات رائعة لا تتفق مع الفكرة التي شوهت صورة محمد واعتبرته دجالاً كريهاً تنتابه نوبات صرع، وقد اعتبرها بولنفييه نوعاً من التمويه والخداع وتحدث عن إنتشار الإسلام بقوله: "إن محمداً كان مؤسساً لإمبراطورية أكبر من تلك التي أسسها المقدونيون أو الرومان. وفي حقيقة الأمر لا يحكم على هذا الدين الجديد في الوقت الراهن إلا كونه كذبة كبيرة انتشرت واتسعت بواسطة القوة في أمم قليلة الخبرة على القتال، إلا أن الجهل فضلاً عن الأحكام المسبقة لبعضهم، جعلتهم يخضعون لهذه الفكرة التي تعتبر نوعاً من الإزدراء إلا أنه من الضروري التأكيد على أنه لا يوجد تاريخ يحتوي على أحداث مهمة ومدهشة في الوقت نفسه كتاريخ المسلمين"[١].

ويحمل المستشرق الفرنسي ليبنز (Leibinz) التوجهات نفسها التي تنطوي على قدر من التحدي في عصره معتبراً أن محمداً رجل عظيم، ومصلح إجتماعي حتى أنه سبق بولنفييه في هذا الموقف[٢].

• انظر كذلك: بدوي، عبدالرحمن، موسوعة المستشرقين، ص١٤٢.

(1) Boulainvillers: La Vie de Mahomet. P.P. (5, 6)

(٢) رودنسون، تراث الإسلام، العدد ٨، ص٦٦.

في المقابل، ينطوي موقف فولتير - فرانسوا ماري Voltaire-Francois Marie (١٦٩٤-١٧٧٨م)، وكما يراه رودنسون، على التردد بين رأيه فيه كرجل سياسة ذي تفكير عميق وبين الحملة على محمد ذاته بوصفه ممثلاً لجميع المدعين الذين أسروا نفوس الناس بأساطيرهم الدينية[١].

و يزداد موقفه دهشة وغرابة في مسرحية التعصب التي شحنها بحوارات وشخصيات مفتعلة قائمة على التخيل، أكثر مما هي قائمة في الواقع التاريخي، مليئة بالمغالطات التاريخية مقدماً مسرحيته بقوله: "إلى رئيس الديانة الحقيقية ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية"[٢].

ويقول ديل ديورانت: "إن هذه المسرحية أثلجت صدور المسيحيين عندما صور الرسول مخادعاً تعمد أن يدس دينه الجديد إلى عقول قوم سذج ويستغل إيمانهم في استثارة هممهم للقتال"[٣]. وفي كتابه – أي فولتير – "محاولة عن العادات"، يميز بين المسلمين وذبيهم، فهم المتسامحون في حين ان محمداً رجل مخادع وسياسي سيئ، وهنا تظهر بعض آثار التحول وهي نتيجة تأثره بكتاب بولنفييه[٤].

و يرى بعض الكتاب أن فولتير إنما قصد مهاجمة التعصب الديني والكنيسة المسيحية الرسمية من خلال هجومه على الإسلام ونبيه، وأن موقفه كان تقييماً جديداً للإسلام كقوة دينية أكثر مما هو انعكاس لآراء القرون الوسطى[٥].

كما يرى المتعاطفون مع فولتير فيه المفكر الغربي الحر صاحب الدور البارز في تاريخ الثورة الفرنسية، وفي تأجيج حماس الفرنسيين للخروج من طوق الكنيسة وهيمنة الملكية، مستشهدين على حسن مقاصده بقاموسه الفلسفي حيث يقول: "نسبنا للإسلام كثيراً من السخافات و هو في الحقيقة خلو منها"[٦]. ويضيف: "الواقع ان المزايا التي يتمتع بها محمد تمحق الإنتقاد محقاً ولا تترك مكانه إلا الإعجاب والتقدير لشخصه ونبوغه العبقري"[٧].

---

(١) رودنسون، تراث الإسلام، العدد ٨، ص٦٦-٦٧.

(٢) الجندي، أنور، الإسلام في غزو جديد للفكر الإنساني [مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٤] ص٤٣.

(٣) قصة الحضارة، ترجمة فؤاد اندرواس [ط١، مطبعة دار الجيل، ١٩٨٨]مجلد ٣، ص٣٥-

(٤) جعيط، هشام، أوروبا والإسلام، ترجمة طلال عزت، [ط١، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٨٠] ص٣٠.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٠.

(٦) الجندي، أنور، الإسلام في غزو جديد للفكر الإنساني، ص٦٩.

(٧) أبو الفتوح، سيد حافظ، قالوا عن الإسلام، ص٣١.

وفي هذه المرحلة ظهرت في باريس ترجمة سفاري Maxim Savary (١٧٨٣م) للقرآن الذي اعتبر فيه محمداً مصلحاً حارب الوثنية لكنه رفض عقيدة التثليث[١].

أما المستشرق جان جانيه Jean Ganier (١٦٧٠-١٧٤٠م) فقد ترك الدير ولجأ إلى إنكلترا واعتنق المذهب البروتستانتي، وعمل استاذ اللغات الشرقية، وكتب سيرة النبي محمد (ﷺ) في جزأين معتمداً على المصادر العربية بعد أن ترجم السيرة النبوية للإمام عماد الدين أبي الفداء اسماعيل الدمشقي (ت٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢م) إلى اللاتينية مع تعليقات وخرائط، وكان هذا أهم ما ميز كتابه بشيء من المنهجية العلمية لاستفادته من المصادر العربية[٢] في نتاجه عن سيرة النبي (ﷺ).

ومن المهم ملاحظته أن فرنسا في هذه المرحلة أظهرت نوعاً من الخصوصية، فقد حاولت من خلال أفكار وتوجهات الثورة تحرير الفكر من معتقدات الكنيسة والسلطة الملكية. أما بخصوص الشرق فقد تركز الاهتمام على الجوانب السياسية والإقتصادية، بالإضافة إلى إحياء وإنشاء كراسي اللغات الشرقية التي برعت فيها حكومات الثورة الفرنسية مع نتائج[٣] حملة نابليون على مصر. كل ذلك أدى الى أن تقود فرنسا بمؤسساتها العلمية حركة الإستشراق التي ظهر فيها ما يمكن أن نسميه أستاذ المستشرقين الأوروبيين سلفستر دو ساسي (١٧٥٨-١٨٣٨م) (Silvester de Sacy) الذي زار الشرق واهتم بالمخطوطات العربية التي نقل منها الكثير بطرق مختلفة، وكتب مقالة عن النبي محمد (ﷺ) يقول فيها: "إن محمد بن عبدالله المفكر العظيم والفيلسوف الكبير، دينه صالح لأن يبقى ولا يتغير، وإن محمداً كان معروفاً منذ الصغر بالصدق والأمانة والوفاء والتواضع"[٤].

أما جان جاك سيديو Jean-Jacques Sedeo (١٧٧٧-١٨٣٢م)، وفي كتابه "خلاصة تاريخ العرب" فيقول: "في فضل محمد على القبائل التي جعلها أمة واحدة وتقصد مقصداً واحداً وقد أظهرت للعيان أمة عظيمة"[٥]. كما أبرز دعوة النبي

---

(١) فرج، السيد أحمد، الإستشراق، الذرائع، النشأة، المحتوى [ط١، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٣] ص١٢٦.

(٢) ناجي، عبدالجبار، تطور الإستشراق في دراسة التراث العربي، ص٩٥.

(3) Sharfiuddin, Mohammed; Islam and Romantic Orientalism; I. Btauris; London; 1996; P-16.

(٤) أبو الفتوح، قالوا عن الإسلام، ص١٠٦.

(٥) المصدر نفسه، ص٤١.

للأخلاق بالرغم مما رأى من فضل المسيحية على الإسلام معتبراً إياها أكثر تسامحاً[١].

ويعبّر نابليون في حملته على مصر عن فهم وإدراك الفرنسيين (حكام ومثقفين)، أهمية الإسلام في حياة الشرق، لدرجة أنه (أي نابليون) إدّعى الإسلام[٢] في إعلانه الذي وزعه على سكان الإسكندرية (١٧٩٨م) حيث يقول: "إن الفرنسيين يعبدون الله أكثر من المماليك كما أنهم يجلون الرسول والقرآن، وإن الفرنسيين مسلمون خلص"[٣]، وإن كان هذا الموقف ينطوي على حكمة سياسية تستهدف أن يسلم الناس قيادهم لهذا الغازي الجديد، إلا أنها تنطوي أيضاً على وعي تام بتأثير القرآن والدين الإسلامي في حياة الأهلين أيضاً.

فضلاً عن العوامل الأخرى، ثمة أسس لنظرة جديدة للإسلام ونبيه وسيرته توفرت من خلال المصادر الفنية لأناس أنقذوا اللغة العربية، فكتبوا عن السيرة النبوية بقدر أكبر من الموضوعية دون الإنسلاخ عن جذور الثقافة الدينية الفرنسية، لذلك كانت هناك آراء متعددة ووجهات نظر مختلفة في كتابات المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة:

شهد القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تطورات مهمة على الأصعدة السياسية والعلمية والصناعية على النطاق العالمي عامة والفرنسي مع العرب خاصة، عكست نفسها على الكتابات الإستشراقية الفرنسية، ومنها كتابات السيرة النبوية وفق مدارس ومناهج مختلفة كانت فيها النزعة الإستعمارية واضحة، إنسجاماً مع النشاط الإستعماري الفرنسي[٤] الذي حاولت فيه فرنسا اتباع سياسة الفرنسة والتنصير للشعوب المستعمرة.

شهدت هذه المرحلة نشاطاً تبشيرياً مميزاً، وجهوداً كبيرة ودؤوبة للمؤسسات التبشيرية في الجوانب التعليمية الصحية الإعلامية[٥]. ويحفل التاريخ الفرنسي في شمال أفريقيا وبلاد الشام بالجهود المميزة لنشر الدين المسيحي•، حيث تحولت مساجد

---

(١) جبري، عبدالمتعال، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص١٠٣.

(٢) بوازار، مارسيل، الإسلام اليوم، [ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، اليونسكو، بيروت، ١٩٨٦] ص١٠٩.

(٣) الشرقاوي، محمد عبدالله، الإستشراق دراسة تحليلية تقويمية، ص٧١.

(٤) روم، جان بول، الإسلام في الغرب، تعريب نجدة طاهر وسعيد العز، [ط١، مطبعة المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٠] ص٦٥.

(٥) جبري، عبدالمتعال، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص١٠٨.

• لقد عمل المبشرون تحت الغطاء الصحي حيث أسسوا العيادات الطبية للعلاج العام والمجاني. وعلى المستوى التعليمي لفرنسا في لبنان مثلاً مؤسسات تعليمية تبدأ من الروضة حتى

كثيرة إلى كنائس في الجزائر وتونس والمغرب، وعلقت الصلبان، وتحول العديد من عرب المغرب إلى كاثوليك بفعل الآباء، كما عمدت فرنسا إلى إلغاء الشريعة الإسلامية في الجزائر ومنع فقراء المسلمين من التجول في البلاد[١].

وشهدت هذه المرحلة نشاطاً وتنافساً فرنسياً إنكليزياً للتنقيب عن الآثار وكان لبعض القناصل الفرنسيين دور مميز برز منهم القنصل جول أميل بوتي (١٨٤٣) في العراق وقنصل البصرة إميل دو سارزاك بما استولوا عليه من الآثار ونقلوها إلى متحف اللوفر في بلادهم (١٨٧٧-١٨٧٨م). وتطورت أعمال التنقيب في القرن العشرين، فتكونت الفرق الكبيرة المتخصصة ومنها تلك التي أجرت تحرياتها الأثرية في "كيش" في العراق برئاسة دو جواك سنة (١٩١١م) [٢].

كما تميزت هذه المرحلة بمعايشة المستشرقين للحياة الشرقية عن كثب من خلال مكوثهم أوقاتاً قصيرة أو طويلة تمتد إلى سنوات في بلاد الشرق، الأمر الذي أتاح الاستفادة من الإمكانيات المتوفرة، فظهرت الكتابات المستندة إلى كتب السيرة العربية والمستدلة بآيات قرآنية، إلا أن أبرز ما يسجل على كتابات هذه المرحلة، الانتقائية في استخدام المصادر العربية، أي استخدام المعلومات التي تتفق ومقاصد الباحث بغض النظر عن دقتها وصحتها وموقف كتّاب السيرة العرب منها.

وقد حاول بعض المستشرقين اعتماد آيات وأحاديث وتفسيرها بشكل مغلوط ومجزأ، فأظهروا كل شاذ وغريب وضعيف ليسلطوا الضوء عليه، كما ظهر منهم من يشكك بصحة المصادر العربية الأصيلة التي تتعارض مع مواقفهم وآرائهم، حتى وصل التشكيك إلى مضمون محتويات القرآن. وفي المقابل ظهر من المستشرقين من نسجل لهم محاولاتهم في إحقاق الحق، ووضع الأمور في نصابها، وحاولوا اتباع المنهجية العلمية فظهرت نتاجاتهم على جانب كبير من الموضوعية.

فالمستشرق بارتلمي سانت هيلر[٣] Barthe'lmy Saint-Hilare (١٨٠٥-١٨٩٥م) في كتابه "محمد والقرآن" (١٨٦٥م)، يعتبر الذبي داعياً لعبادة إله واحد وهو في دعوته رحيم حتى مع أعدائه وهذه تعد من أرقى الصفات التي يمكن أن تحملها النفس الإنسانية[٤].

الجامعات والمعاهد أبرزها الجامعة اليسوعية أو جامعة القديس يوسف التي توجه دينياً من الفاتيكان وسياسياً من فرنسا وكذلك معهد الآداب الشرقية إضافة لمؤسسات إعلامية معروفة بتوجهاتها التبشيرية، انظر: جبري عبدالمتعال، الإستشراق وجه الإستعمار، ص٢٩.

(١) الجليند، محمد السيد، الإستشراق والتبشير، ص٧٥.

(٢) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، [ط١، مطبعة الحوادث، بغداد، ١٩٧٣] ج١، ص١١٧.

(٣) العقيقي، نجيب، المستشرقون، ص٢٠٥.

(٤) أبو الفتوح، سيد حافظ، قالوا في الإسلام، ص٩٤.

و كذلك المستشرق إيزاك تيلر (١٨١٠-١٨٩٧م) في كتابه خصائص التاريخ يقول: "إننا إذا أمعنا النظر، لا نجد من أعمال محمد ونبوته شيئاً يتناقض مع النصرانية في جوهرها أو يقف لها بالمرصاد... أما تعدد الزوجات فهو أمر لم يحرمه داود في الزبور ولا موسى في التوراة"[١]، في حين كان لارنست رينان• Ernest Renan (١٨٢٣-١٨٩٢م)، رأي آخر في الإسلام والعرب والرسول الكريم محمد (ﷺ) من خلال مؤلفاته "تاريخ شعب إسرائيل" معتبراً أن تاريخ الحضارة الإنسانية في مجمله هو تاريخ الغرب فقط، أما الإسلام فكان حرباً على حرية الفكر وأنه كبت جميع الحركات العلمية وحارب العلم والفلسفة[٢]. كما تحمل كتاباته شيئاً من التناقض إزاء الإسلام ورسوله والعرب، ففي حين يصف النبي (ﷺ) "بالدجل والخداع"، يعود ليصفه بالصلاح والصدق، وهذا ما حدا "بيكافيه" أحد أكبر الباحثين في آثاره الى القول عنه: "إنه رجل يقلب أوضاع الأشياء والمسائل وذلك لاختمار النزعة الصليبية في عقله الباطن"[٣].

ومن المستشرقين الذين فهموا الإسلام وأشادوا بالنبي (ﷺ) ودافعوا عنه ضد الذين حاولوا تشويهه والإساءة لرسوله محمد (ﷺ)، المستشرق الكونت هنري دو كاستري Comte Henrie De Castry (١٨٥٠-١٩٢٧م). كان عقيداً في الجيش الفرنسي، عاش في الجزائر مدة وألّف كتاباً بعنوان "الإسلام سوانح وخواطر" (١٨٩٦م) وتضمن رداً على جملة المفتريات الغربية بحق محمد (ﷺ) حيث يقول: "لقد ذهبوا إلى أن محمداً وضع دينه بادعائه الألوهية ومن المستغربات قولهم إن محمد الذي هو عدو الأصنام ومبيد الأوثان كان يدعو الناس إلى عبادته في صورة وثن من ذهب"[٤]. واستمر دو كاستري في عرض المفتريات الغربية والرد عليها فيقول: "لقد ادعوا أن محمداً (ﷺ) ادعى الأمية لكنه في الحقيقة كان يقرأ ويكتب فأخذ تعاليم دينه من الأديان والمعتقدات الدينية السائدة آنذاك. إلا أن محمداً (ﷺ) ما كان يقرأ ولا يكتب بل كان وكما وصف نفسه مراراً نبياً أمياً وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه، ولا شك في أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلم، بحيث لا

---

(١) المصدر نفسه، ص٩١.

• ولد في مدينة تريجية، دخل المدارس اللاهوتية، تضلع باللغات الشرقية، نزل في لبنان عضواً في المجمع اللغوي الفرنسي (١٨٧٨م). من آثاره: ابن رشد الرشديين (١٨٥٢م)، تاريخ اللغات السامية (١٨٥٧م)، تاريخ الأديان (١٨٦٣م)، حياة اليسوع (١٨٦٣م) كتبه في لبنان، موسوعة المستشرقين، ص٣١١.

(٢) زهر الدين، صالح، الإسلام والإستشراق، ص٩٥-٩٦.

(٣) حمدان، نزير، الرسول في كتابات المستشرقين، ص١٧٤.

(٤) دي كاستري، هنري، الإسلام سوانح وخواطر، ترجمة أحمد فتحي زغلول [السعادة، مصر، بلا] ص٨.

يعلمه الناس لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان"[١]. ويقول أيضاً: "إن محمداً (ﷺ) لم يقرأ كتاباً مقدساً ولم يسترشد أو يقتبس من أي دين أو مذهب"[٢]. ويصف دو كاستري حال النبي عند نزول الوحي ويرد على الإدعاء بأن ما يعانيه عليه السلام هو اضطراب عصبي فيقول: "إن النبي الذي بدأ رسالته بعد الأربعين، لم يشاهد عليه قبل ذلك أي اعتلال أو إضطراب في الجسم أو القوة"... "إن حياة النبي وسيرته عُرفتا لدرجة وصل فيها المحدثون عنه إلى أنهم كانوا يعدون الشعر الأبيض في لحيته"[٣] وإن ما كان يشعر به محمد (ﷺ) عند الوحي تحدث به موسى في وصفه لحاله عند نزول الوحي؛ وأخيراً نراه يصف القرآن الكريم قائلاً إن هذه الآيات التي جاء بها النبي الأمي هي آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى[٤]. ويعزو دو كاستري مقاصد المستشرقين الذين حرّفوا وأساؤوا إلى خدمة المقصد المسيحي وليس قصدهم التاريخ[٥].

ويأتي في مقدمة المستشرقين الذين كتبوا عن السيرة النبوية بعقل منفتح واستقبال روحاني وعلمية وموضوعية أدت به إلى أن يكون مسلماً مؤمناً وشاهداً بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، المستشرق الفونس اديان دينييه• Alphonse-Etienne Diniet (١٨٦١ – ١٩٢٩م) الذي سُمي ناصر الدين فقد كتب للإسلام ونبيه مجلداً ضخماً بالفرنسية زينه بالصور والرسوم معتمداً على كتب السيرة لإبن هشام وإبن سعد، بأسلوب أدبي وفني ممتع، وهو ما أثار حفيظة الكثير من المستشرقين الذين ساءهم أن لا يستند إلى كتاباتهم في موضوع السيرة النبوية. وما ميز كتابه في السيرة أنه حرص على إيراد النصوص المتفقة مع القرآن والإبتعاد عن المبالغة الخوارق التي نسبت للنبي (ﷺ) بعد زمن من وفاته، وأشار إلى ذلك حين قال: "الحق أننا نرى من بين جميع الأنبياء الذين أسسوا ديانات أن محمداً (ﷺ) هو الوحيد الذي استطاع أن يستغني عن الخوارق والمعجزات المادية، معتمداً فقط على بداهية

---

(١) دي كاستري، هنري، الإسلام سوانح وخواطر، ص١٦.
(٢) المصدر نفسه، ص١٦.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٢.
(٤) المصدر نفسه، ص١٨.
(٥) المصدر نفسه ص٣٣.

• ولد في باريس، كان فناناً مرهف الحس، اسلم بعد بحث وتأمل وتعمق في الإسلام في جامع بالجزائر (١٩٢٧م). توفي في باريس. دفن في الجزائر في قبر كان أعده لنفسه، شارك في تشييعه كبار قومه الرسميين وأصدقائه، من آثاره: حياة العرب، الشرق كما يراه الغرب، حياة الصحراء، محمد رسول الله (ﷺ).

رسالته ووضوحها وعلى بلاغة القرآن الإلهية، وإن استغناء محمد (ﷺ) عن الخوارق والمعجزات لأكبر معجزة على الإطلاق"[١].

واشتمل كتابه على سيرة النبي (ﷺ) حتى وفاته مفرداً فصلاً للحديث عن أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا.

ومن المستشرقين الذين استفادوا من إقامتهم في ديار الإسلام، واطلعوا على حياة المسلمين عن كثب وقرأوا السيرة من المظان العربية الأصيلة، موريس جوديفروا ديمومبين Maurice Gaudefroy De Mombynes (١٨٦٢-١٩٥٧م) الذي تناول السيرة النبوية في مؤلفه "النظم الإسلامية" (Les Institutions Musulmanes) (١٩٢١م) بشكل مكثف وشامل، فتعرض بأسلوب السرد التاريخي لأحداث السيرة بدءاً من حياة محمد (ﷺ) قبل البعثة.

وباستعراض فصول كتابه نجده يشترك في عدة غير قليل من الموضوعات مع غيره من المستشرقين في تفسير الأحداث وطريقة روايتها والتركيز على موضوعات معينة مثل سعة إنتشار المسيحية في الجزيرة والمناطق المجاورة لها. فيقول: "في بداية القرن السابع الميلادي تسربت إلى الحجاز عدة تيارات فكرية أجنبية عدة فتأثر بها بعض الأفراد بدرجة كافية"[٢] إلى أن يصل لما مفاده "أنه بالإمكان أن نفترض بأن الذبي تأثر بالعقائد النصرانية واليهودية التي اعتنقها البعض في مكة[٣]، كما يعتبر زواج النبي (ﷺ) من خديجة رضي الله عنها قد حرر الرسول (ﷺ) من الأعباء المادية ليتفرغ للتأمل والتفكير، ويشبه سرايا وغزوات الذبي (ﷺ) بعادات البدو في سلب ونهب جيرانهم، كما يتعرض في كتابه إلى علاقة النبي (ﷺ) مع اليهود وطبيعتهم المخادعة التي أدت إلى طردهم.

كما يتناول سيرة الرسول (ﷺ) بشكل واسع في كتابه "محمد" (١٩٥٧م) مثيراً الجدل حول اسم الذبي عليه السلام في قوله: "إلا أنه يبقى الشيء غير المفهوم أن محمداً (ﷺ) لم يكن يدعى أحمد"[٤]، ويقصد هنا الاختلاف حول ما ورد عن اسم النبي في الكتب السماوية السابقة (أحمد).

كما يعيد في كتابه "محمد" الرأي نفسه حول اتصال الذبي بالمسيحية، مضيفاً اعتقاده بأن اللقاء الأول له مع النصرانية كان مع الراهب بحيرا، ويشير إلى أن محمد

---

(١) دينييه، اتيان، وسليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ترجمة عبدالحليم محمود ومحمد عبدالحليم [مطبعة النهضة، مصر، ١٩٦١] ص٥٥.

(٢) ديمومبين، النظم الإسلامية، ترجمة صالح الشماع وفيصل السامر [بغداد، ١٩٥٢] ص١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩.

(4) De Mombynes, Mohamed, Albin Michel, Paris. 1957. P65

(ﷺ) "كان عليماً بالكتب السماوية التي سبقته فقد كان يشعر بأن لديه المصدر نفسه الذي يدفعه للتفكير والتدبير"[١].

وبالرغم من بعض المآخذ على كتاباته بخصوص السيرة والتي أوردناها سابقاً، إلا أنها تميزت بالعمق والشمول واستخدام المصادر الإسلامية حيث يرى المؤرخ عبدالرحمن بدوي أنها أفضل ما كتب باللغة الفرنسية عن السيرة النبوية[٢].

ويبقى ابرز المستشرقين تشويهاً وتطرفاً ضد الإسلام ونبيه، هنري لامانس • Henrie Lamence (١٨٧٢-١٩٣٧م)، فقد كان شديد التعصب ضد الإسلام، مفرطاً في عدائه وافتراءاته لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم"[٣].

يقول مكسيم رودنسون Maxim Rodinson معلقاً على كتاباته: "ظهر رجل هيمن على الدراسات الأوروبية المتعلقة بمحمد خلال الثلث الأول من القرن العشرين، ذلك هو البلجيكي اليسوعي، فرنسي المشاعر، المستشرق المعروف الذي رشحت خبرته الكهنوتية على اتجاهه الإستشراقي"[٤].

كتب لامانس أكثر من عشرة مؤلفات في الإسلام والنبي وآل بيته عليهم السلام، واصفاً الرسول (ﷺ) "بالمزيف والجبان والأكول والنؤوم كارهاً للوحدة"، كما أساء إلى أعلام المسلمين وأمهات المؤمنين[٥]، وشكك بالحديث والمصادر الإسلامية التي لا تتفق ووجهة نظره وملأ مؤلفاته بالحواشي لمصادر توحي بعمق بحثه وعلميته، ولدى التدقيق فيها، نجدها إما غير موجودة أو مفسرة بطريقة خاطئة ملتوية[٦].

ويقول في كتابه (الإسلام) إنه يمكن التعرف على حياته أي حياة الرسول عليه السلام من خلال القرآن أو من خلال ما توارد عنه من أخبار، وتسمى السيرة التي جمعت ودونت منذ نهاية القرن الأول للهجرة. ويعتبر لامانس انها تحكي حياة الرسول بإطناب، وخضعت لانتقاد شديد من المستشرقين[٧]. وله أيضاً رأي

---

(1) Ibid, p.69

(٢) موسوعة المستشرقين، ص٢٧٢.

• يعد الأب هنري لامانس من أوائل علماء الجامعة اليسوعية في بيروت، ودرس اللاهوت وتولى إدارة التبشير في بيروت. انظر: جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص٧٧.

(٣) البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث، صلته بالإستعمار الغربي [ط٩، دار غريب، القاهرة، ١٩٨١] ص٤٥٢.

(٤) الشرقاوي، محمد عبدالله، الإستشراق، دراسة تحليلية، تتقويمية، ص١٤٦.

(٥) جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص١٠٧-١١١.

(٦) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٩.

(7)Lammence, Henrie, L'Islame, Croyances et Institutions; 3me Edition, Beyouth; 1943, p.32

بخصوص اسم الرسول (ﷺ)، حيث يرى أن اسم محمد أو أحمد لم يرد في القرآن إلا في السور المدنية وليس قبل ذلك[1]، وهنا يريد أن يوحي بأن محمداً اسم الرسول أعطي له بعد البعثة وبعد أن اطلع النبي (ﷺ) على الكتب المقدسة والسابقة التي يرد فيها أن النبي اسمه أحمد.

أما هنري ماسيه Henrie Masse (١٨٨٦-١٩٦٩م) فتنطوي كتاباته في السيرة على نقد ما كتبه المسلمون في هذا الموضوع لاحتواء مؤلفاتهم على معلومات أسطورية عن الرسول: "إن السيرة أدخلت أشياء خارقة في تاريخ حياته بشكل تستطيع فيه أن تجعله مساوياً لموسى والمسيح"[2].

وخصص فصله الأول من كتابه "الإسلام" لسيرة النبي (ﷺ) بدءاً من طفولته التي اعتبر انها افتقدت الى السعادة واتسمت بالحزن بسبب ما لاقاه الرسول عليه السلام من اليتم المبكر[3]. كما ابرز علاقة الرهبان النصارى بالنبي محمد عليه السلام وأثر اليهود في الإسلام، والذين حاول محمد عليه السلام استمالتهم إليه، وزودته هذه العلاقة بمعلومات عن العهد القديم[4].

من جهته، يرى لويس ماسييون Louis Massignon (١٨٨٢-١٩٦٢م) في محمد عليه السلام نبياً مخلصاً وصادقاً في رسالته، ومرد ذلك الإخلاص إلى عدم ادعائه الخارق والمعجزات وعدم منحه صكوك الغفران أو ادعائه معرفة الغيب؛ وعبر عن الهجرة النبوية بقوله: "عندما أعيته الحيلة، ترك مسقط رأسه مهاجراً إلى المدينة، فنظم أمور مجتمعه كما اضطر لإستخدام السلاح لتحقيق ما كلفه به ربه"[5]؛ ويقول في مقالة له عن وفاة الرسول (ﷺ): "عندما شارف محمد على الموت لم يطلب تشييع جنازته، فقد تم دفنه في مكانه كقائد يسقط في أرض المعركة المقدسة محاطاً بمساعديه وخليفته"[6].

أما إشكالية محمد Le Probleme de Mahomet (١٩٥٢م) فكانت عنوان مؤلف للمستشرق الفرنسي ريجي بلاشير Regis Blachere (١٩٠٠-١٩٧٣م)، وهو عبارة عن تلخيص لكتابات وأبحاث المستشرقين الذين كتبوا في سيرة الرسول عليه

---

(1)Ibid, p.32

(٢) ماسييه هنري، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان [ط١، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٠] ص٤٠.

(٣) ماسيه هنري، الإسلام، ص٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٥) الحاج، ساسي سالم، الظاهرة الإستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، ج٣، ص١٨.

(6)Massignon, Louis (La Rawda du Medine) Instiut Francaise d'archeologie orientale. P. 242 Egypte. 1960.

الصلاة والسلام[١]، منتقداً بولنفيه، واعتبر ان دفاعه عن الإسلام يعود الى عدائه للمذهب الكاثوليكي الرسمي[٢]، كما يعتقد أن الكنيسة المسيحية أخطأت في فهم محمد حين اعتبرته مذشقاً يدّعي أنه ملهم في حين إنه "في واقع الأمر تلقى تعاليمه من راهب خارج العقيدة القويمة"[٣].

أما كلود كاهن[٤] Claude Cahen (١٩٠٩-١٩٩١م) فقد ركز على العامل الإقتصادي في دراسته تاريخ العالم الإسلامي، وأفرد فصلاً لاستعراض حياة النبي (ﷺ) بشكل موجز في كتابه "تاريخ العرب والشعوب الإسلامية" منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية (١٩٧٢م)، وفيه يرفض الاتهامات التي سيقت بحق النبي ويعزوها لأسباب طائفية قديمة ويعتبرها مهاترات لا يليق بالمؤرخ المنصف أن يرى في الرسالة الدينية نتيجة من نتائج الصرع[٥]، إلا أنه يلقي بذور الشك في المصادر الأساسية التي نستقي منها السيرة النبوية و هي القرآن الذي "لم يدون إلا عقب وفاة الرسول"[٦] وأن سوره رتبت بشكل لا يتطابق وترتيب النزول، وبالرغم من أن القرآن ضم تعاليم الرسول إلا أنه لا يتضمن ما يساعد على معرفة سيرة النبي (ﷺ) [٧]،أما المصدر الثاني فهو الكثير من الأحاديث الموضوعة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، وفي ظروف المنازعات الدينية والسياسية[٨].

ويعتبر أن شخصية النبي (ﷺ) اصطبغت بصبغة تاريخية قد لا تتوفر عند أي مؤسس آخر من مؤسسي الديانات الكبرى "فهو رسول عقيدة ومؤسس دولة"[٩]. كما يتحدث عن علاقة النبي باليهود الذين رغب منهم المناصرة، ولما تبدد أمله منهم أيضاً، أخذهم بالعنف عن طريق القتال والتهجير[١٠]، إلى أن جعل المدينة بيئة

---

(١) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص١٢٧.

(٢) بلاشيير، القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره، ترجمة رضا سعادة [ط١، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤] ص١٨.

(٣) بلاشيير، القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره، ص١٢

(٤) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٦٠.

(٥) كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم [ط١، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢] ص١٨.

(٦) كاهن كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص١٤.

(٧) المصدر نفسه، ص١٤.

(٨) المصدر نفسه، ص١٥.

(٩) المصدر نفسه، ص٢٠.

(١٠) المصدر نفسه، ص١٧.

منسجمة في جماعاتها. ويعد مغازي الرسول (ﷺ) مظهراً من المظاهر التي أعتادت عليها القبائل في ما بينها، إلا أنها فاتحة الحرب المقدسة أو الجهاد في سبيل الله[١].

أما مكسيم رودنسون Maxim Rodinson (١٩١٥م) و هو من أنصار التفسير المادي للتاريخ[٢]، فقد كان له إهتماماته بموضوعات التراث الإسلامي وبسيرة الرسول التي تصدى لدراستها في كتابه "محمداً" Mohammed[٣] (١٩٦١م) ويتحدث فيه عن تاريخ ولادة الرسول ويعتقد أنه لا أحد يعرف يقيناً متى ولد الرسول (ﷺ) كما لا يمكن التأكد من الروايات بالرغم من إمكان قبولها، وان لا شيء مؤكداً حول طفولته[٤]، وأن الأساطير ملأت فراغاً كبيراً من هذا الموضوع[٥]. ويرجع زواج النبي (ﷺ) من خديجة رضي الله عنها التي تكبره إلى المبررات النفسية التي ولدتها الطفولة اليتيمة[٦]. ويعتبر دور النبي في المدينة متواضعاً وينحصر في التحكيم بين الأطراف المتعارضة للجماعات التي تعيش فيها[٧]، كما يصف ما جرى مع اليهود بالمجزرة[٨].

وهكذا نرى رودنسون يرفض كل الأحداث التي لا تجد لها في المنطق المادي مبرراً لوجودها، ويشكك بالكثير مما ورد في المصادر العربية الإسلامية[٩].

وذختم مبحثنا بكتاب "محمد كلام الله" Mahomet- La Parole d'Allah لـ آن ماري دلكامبر Anne-Marie Delcambre والذي يتضمن سرداً لأحداث السيرة النبوية، دون تدخل من الكاتبة، ما خلا بعض الموضوعات التي تلمح فيها إلى موقف، كاليهود الذين أخبروا بظهور نجم جديد في السماء والفرس الذين أخبروا بأن نارهم ستنطفئ[١٠] وأن غزوات الرسول (ﷺ) كانت من جهة لضمان عيش هؤلاء النفر من المهاجرين الذين لا يستطيعون الاعتماد على ضيافة مسلمي المدينة بشكل

---

(١) كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص١٧.

(٢) قبيسي حسن، رودنسون ونبي الإسلام [دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١] ص٨٠.

(3)Rodinson, Maxime, Mohammed, translated from French by Anne Carter, Penguin Book, 1983

(4) Ibid; P-38

(5) Rodinson, Mohammed. P-34.

(6)Ibid. P51.

(7)Ibid. P154.

(8)Ibid. P-213.

(٩) الحاج، الظاهرة الإستشراقية، ج٣، ص٥٩ و ٢٠٧.

(10)Anne- Marie Delcambre, Mahomet – La Parole D'allah, Edition Galimard Paris. 1987. P-27.

دائم، ومن جهة أخرى اتباعاً لتقليد الأجداد بالغزوات[1]، ويعتبر أن الإسلام شيد أعظم إمبراطورية تأثيراً في القرون الوسطى بالسيف والقرآن[2].

(1)Ibid. P-85.
(2) Ibid. P-117.

المبحث الثاني

حياة محمد La vie de Mohammed كتاب لإميل درمنغم

Emile Dermenghem

نموذجاً للإستشراق الفرنسي

تبحث هذه الرسالة في الإستشراق الفرنسي تحديداً، لذلك انصب الجهد على البحث عن أهم المستشرقين الفرنسيين الذين صنفوا عن حياة الرسول الكريم محمد (ﷺ) لاختيار نموذج مناسب يعبر عن الاتجاهات العامة للإستشراق الفرنسي في موضوع السيرة.

وصار المستشرق إميل درمنغم Emile Dermenghem وكتابه "حياة محمد" La Vie de Mohammed النموذج للإستشراق الفرنسي لأسباب عدة أهمها:

- أنه من مستشرقي القرن العشرين، ما يعني أن كتابه يمكن أن يكون حصيلة تطور منهجية المستشرقين الفرنسيين وطبيعة نظرتهم إلى السيرة النبوية الشريفة.
- اعتمد بالدرجة الأولى في مصادره على القرآن وكتب السيرة والمغازي.
- يسلط الضوء على المحاور نفسها التي شدد عليها المستشرقون عموماً ويطرح التساؤلات والتفسيرات نفسها تقريباً.
- أن هذا الكتاب مترجم بشكل جيد من قبل المترجم المعروف الأستاذ عادل زعيتر الذي لم يضيع الفرصة في التعقيب "إلا قليلاً" على بعض تفسيرات درمنغم لأحداث السيرة.

لقد عرف درمنغم العربية لأنه كان من موظفي بلده في الجزائر حيث عين مديراً لمكتبة الجزائر.

من آثاره "قصص من فاس" طبع سنة (١٩٢٦م)، و"حياة محمد" طبع أول مرة سنة (١٩٢٩م) و"محمد والسنة" (١٩٥٥م)، ويعد الكتاب الذي نخضعه للدراسة (حياة محمد) من أشهر كتبه، فقد طبع مرة ثانية عام (١٩٥٠م).

اعتبره العقيقي "خير ما صنفه مستشرق عن حياة النبي (ﷺ) ويرجع إليه علماء المسلمين"[١]، أما الأستاذ محمد حسين هيكل فيقول عنه إنه "واحد من المستشرقين الذين عرضوا لحياة محمد بشيء من الإنصاف"[١].

---

(١) المستشرقون، ج١، ص٢٩٨.

ويستشهد بآرائه عدد آخر من الكتاب العرب المسلمين في رد التشويه والأباطيل والتهم التي أطلقها عدد من المستشرقين[٢] بحق الرسول (ﷺ).

وعلق عليه زعيتر في مقدمته "أكثر الكتب التي ألفها الفرنسيون اعتدالاً، والمؤلف مع ما ساده من حسن النية لم تخلُ سوانحه وآراؤه من زلات"[٣].

وما يؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة كتاب درمنغم (حياة محمد) مدى اعتماده على المراجع والأصول التي استمد منها أحداث السيرة، حيث يذكر في كتابه أنه اعتمد على القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف ومؤلفات السيرة والمغازي، وهي في الحقيقة المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنها في هذا الميدان وإن كان الباحث مستشرقاً.

كما يجب أن لا نغفل حقيقة مهمة عند دراسة آراء درمنغم وتفسيراته، خاصة ما يتصل منها بعدد من الأحداث التاريخية ذات العلاقة بحياة الرسول الكريم (ﷺ) والتي لا يتقبلها العقل مباشرة.

فالعقل الغربي عموماً مادي يعتقد بما يصنعه الإنسان وبما يراه، وقد طغت النزعة المادية كثيراً على عقلية المفكرين الغربيين في القرن العشرين منحية أي دور للقوى الغيبية في صناعة أقدار البشر مهما حاول أن يتمثل ظروف الزمن الذي بعث فيه النبي محمد (ﷺ).

بلغت عدد صفحات الكتاب ٣٧١ صفحة اشتملت على مقدمة أبرز فيها المؤلف يقينه بنبوة محمد، والدافع إلى تأليف سيرة ناطقة صادقة للنبي، معبّراً عن أسفه لوجود بعض الكتابات المسيئة والناقصة، مبتعداً بشكل متعمد عما يراه "ظاهر الوضع" وعما يعتبر أنه اخترع من المعجزات بعد وفاة النبي بقرنين من الزمن.

من هنا، اعتبره عدد من المفكرين الأكثر اعتدالاً في موقفه من بقية المستشرقين.

ويشتمل الكتاب على بابين:

الأول "باب مكة" ويتضمن عشرة فصول، والثاني "باب المدينة" ويقع في أربعة عشر فصلاً.

---

(١) حياة محمد، ط٥، ص١٠، انظر كذلك: غلاب، محمد، نظرات استشراقية في الإسلام [دار الكتاب العربي، مصر] ص٧٢.

(٢) جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص١٢، الهراوي، حسين، المستشرقون والإسلام. فرج، عز الدين، نبي الإسلام في مرآة الفكر العربي [العالمية، القاهرة، بلا] ص٣٧. انظر كذلك: لوثروب ستودارد الأميركي، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض [ط٣، دار الفكر، ١٩٧١] مجلد١، ص٤٣.

(٣) درمنغم، حياة محمد، ص٧.

لا يتمثل الهدف في عرض الكتاب فحسب، بل يتركز في كشف التوجهات المؤسسية والرئيسية في نظر درمنغم لسيرة النبي عليه السلام وحياته.

ونظراً إلى تشعب هذه النظرة، تطلب الأمر التركيز على المحاور الأساسية التي نلمس لدى قراءتها للوهلة الاولى هدفه الذي لا يبتعد كثيراً عن غيره.

المحور الأول: الصحابي سلمان• رضي الله عنه

ينحو درمنغم في كتابه منحاً جديداً في تعرضه لحياة النبي عليه السلام، إذ أن أغلب المستشرقين[1] يبدأون الحديث عن جزيرة العرب ثم مكة فظهور النبي (ﷺ)، الا انه وبخلاف ذلك بدأ كتابه بموضوع لا يفهم منه إلا محاولة لعرض بداية الإسلام على أنه متأثر باليهودية والنصرانية، فكان الحديث عن سلمان الفارسي رضي الله عنه (اصطلح على تسميته سلمان الخير) وتسليط الضوء على تنقلاته من فارس إلى الشام والقدس ثم اعتناقه النصرانية، وحياته في بعض الكنائس في كنف أساقفتها لينتهي به المطاف عاملاً لدى سيده اليهودي في يثرب.

ومن خلال قصة سلمان، يستعرض المؤلف طبيعة المدينة ومناخها وانتظار ها مقدم الرسول (ﷺ).

بعد ذلك يصنف شكل الرسول (ﷺ) بتفصيل دقيق، ويستعرض قصص إسلام بعض الشخصيات المهمة في يثرب، كسعد بن معاذ، عمرو بن الجموح، وأسيد بن حضير.

كما يشير بشكل واضح إلى وجود النصرانية في المناطق الغربية من الجزيرة العربية، ووجود نصرانيين بين العرب واليهود في الجزيرة العربية، كذلك اعتقاد سلمان بصحة نبوة محمد (ﷺ) بالتثبت من وجود خاتم النبوة في كتفه كما أشار اليه أحد القساوسة الذين مر عليهم سابقاً[2].

• معروف سلمان الفارسي لكن الرسول الكريم جعله من آل البيت – سلمان منا آل البيت – قال عنه ابن الأثير أنه مولى رسول الله (ﷺ) ويعرف بسلمان الخير وسلمان الإسلام، قيل عنه إنه علم العلم الأول والآخر بحر لا يترف. أنظر: ابن الأثير، أبي الحسن عز الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني.
(ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، [دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٥٧م] مج٣، ص٣٢٨-٣٣٠. انظر كذلك: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي، تهذيب تاريخ دمشق الكبير [ط٤، دار المسرة، بيروت، ١٩٧٩] ج٦، ص١٩٠.

(١) ينظر على سبيل المثال: - R. Blachiere.Le problem de Mahomet Essai de biographie critique du fondateur de l'Islam, Paris, 1952 (إشكالية محمد، مقالة نقدية عن حياة مؤسس الإسلام بالفرنسية).

- W. Muir, the life of Mohammed. (Edimburgh. 1923).

- Montgamery Watt, Mohammed at MCCA (London, New York 1953).

- M. Gaudefroy, Demombynes, Mahomet, Paris, 1957.

- حتى غليوم وهو يتحدث عن الإسلام، عندما يتناول النبي محمد (ﷺ) في الفصل الثاني فإنه يبدأ الفصل الأول عن الخلفية التاريخية للجزيرة العربية وصولاً إلى الرسول الكريم، انظر:

- (Alfred – Guillaum, Islam (Great Britain, 1956).

- Anne – Marie Delcambre, Mahomet – la Parole d'Allah, Universite Saint – Joseph, Liban, 1995.

(٢) درمنغم، حياة محمد، ص٣٢.

المحور الثاني: طفولة النبي عليه السلام وشبابه

يتضمن هذا المحور ولادة النبي عليه السلام في عام الفيل وما رافقه من أحداث في شبابه، حتى زواجه من السيدة خديجة رضي الله عنها.

وفيه وصف لحملة أبرهة الحبشي نائب النجاشي لاحتلال مكة، يرافقها فيل، أواخر القرن السادس الميلادي، والأسباب التي أدت إلى فشل هذه الحملة معللاً ذلك بتفشي "وباء الجدري الذي فتك بالجيش فتكاً ذريعاً، فتقهقر من بقي منه، فعزت القصة البثور إلى حجارة سماوية ومنها طير أبابيل حافلة بالأسرار"[1].

ولذلك سمي هذا العام بعام الفيل، وحدد ولادة الرسول (ﷺ) بعد هذه الحادثة بمدة قصيرة، واتخذ العرب كعادتهم في تواريخ الأحداث عام الفيل مبدأ لسنواتهم. كما يصف تأثير فشل أبرهة في حملته على مركز مكة الديني والتجاري، ثم يتعرض إلى مكة ومناخها وطبيعتها وقلة الزرع وشح مياهها، فهي كما ذكر القرآن الكريم في ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾[2]، كما يتعرض لأثر العوامل الطبيعية على الحياة الاجتماعية.

يصف توزيعات السكن في مكة بتفصيل دقيق، ودورها التجاري بحكم موقعها في طريق القوافل، ووضعها الإقتصادي الذي تحكمه قوانين الجشع والربا والسمسرة والتجارة، ملمحاً في بعض السطور إلى رفض النبي (ﷺ) لهذه المساوئ، مع إشارة خفية إلى اتصال الرسول عليه السلام قبل البعثة ببعض النصارى واليهود الذين كانوا يمرون في مكة "فعند هؤلاء يبحث محمد عن الأدلة"[3].

حرب الفجار

لعل درمنغم يميل في انتقاله إلى هذا العنوان لإبراز الجانب العسكري من حياة محمد (ﷺ)، لكنه لا يصل إلى هذه النتيجة من دون أن يعرج على طفولة النبي عليه السلام وحليمة السعدية المرضعة، والسنوات الخمس التي قضاها في ديار بني سعد راعياً للغنم، ليسجل موقفه من قصة شق صدر الطفل محمد وغسل قلبه بالثلج الأبيض، معتبراً أنها أسطورة ذات مغزى فلسفي لما ينطوي عليه إخراج الدرنة السوداء من معنى لجهة تطهير القلب والورع الصوفي.

---

(١) درمنغم، حياة محمد، ص٣٥.

(٢) سورة ابراهيم، الآية ٣٧.

(٣) درمنغم، حياة محمد، ص٤٣٠.

ويعتبر أن هذه القصة وُضعت بعد وفاة الرسول لأنه يعتبر أنها نشأت بعد قول القرآن الكريم ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ ﴾ [١].

كما يتطرق الى وفاة والدته وكفالة جده له ثم عمه أبي طالب، وصولاً إلى مشاركته عمه في رحلته إلى الشام، ليضعنا أمام لوحة تفصيلية لكل ما يمكن أن تقع عليه العين في طريق الرحلة، ملمحاً أيضاً إلى إمكانية اتصال النبي محمد (ﷺ) بالنصارى وتأثره بهم خلال هذه الرحلة عبر تكراره لوجود الرهبان في الطريق ولقائه بالراهب بحيري الذي رأى ، حسب كتب السيرة ، كما أورد درمنغم "أن محمد هو النبي المنتظر"[٢].

واستغل حديثه عن سوق عكاظ ودوره التجاري والثقافي والديني كملتقى القبائل والقوافل والأديان والشعراء، مستفيضاً في الكلام عن خطبة حكيم العرب "وأسقف نجران الشهير قس بن ساعدة"[٣] والتي سمعها محمد (ﷺ) بصحبة صديقه أبو بكر فطلب منه مرة أن يعيد عليه ما سمعه من الأسقف، وهو ما يرى فيه درمنغم "شبهاً جالباً للنظر بينها وبين بعض سور القرآن"[٤].

وبعد هذه التفاصيل، يستعرض أسباب حرب الفجار وتسميتها وبعض تفاصيل المعارك والمنتصر فيها، وطريقة إنتهائها، مشيراً الى مشاركة النبي عليه السلام مع أعمامه فيها.

يعترف درمنغم بأن السيدة خديجة رضي الله عنها، الأسدية القريشية الأيم، هي من اختار محمداً عليه السلام زوجاً لها وذلك لتمام خلقه وأخلاقه، فهو طاهر القلب وهو الذي ابتعد عن الخطيئة على عكس أقرانه الشباب، وله من الحكمة ما جعل سادة قريش يحتكمون اليه لفض نزاعهم حول من يضع الحجر في الكعبة بعد ترميمها. وبعد أن يستعرض بنات وأبناء الرسول عليه السلام من خديجة رضي الله عنها، ووصف الكعبة من الداخل والخارج دون أن يتقيد بالسرد الزمني التاريخي، يقفز درمنغم إلى مسألة تبدو مهمة في نظره، وقد تكون محاولة لإدخال بعض من آراء المستشرقين حول زوجات النبي عليه السلام، فيقول: "فهذا الرجل الذي سيكون هوى النساء، شديد عنده، لا يكاد يكتفي باثنتي عشر امرأة عند بلوغه الستين من عمره"[٥]، ليصل إلى

---

(١) سورة الشرح، الآية ١-٣.
(٢) درمنغم، حياة محمد، ص٥٣.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٤.
(٤) المصدر السابق، ص٥٥.
(٥) درمنغم، حياة محمد، ص٦٩.

موضوع متمم لموضوع السيدة خديجة رضي الله عنها، وهو بداية البعثة النبوية الشريفة، كما سنلاحظ في الفصول التالية.

المحور الثالث: بعثة الرسول (ﷺ) حتى هجرته من مكة

بأسلوبه القصصي الطريف والممتع، يستمر درمنغم في سرد أحداث السيرة بتفصيل، معيداً الإضطراب النفسي الذي يعتمل في صدر الرسول عليه السلام، الى انقطاعه بحثاً عن حقيقة الخلق، حتى أضحى لا يفرّق جيداً بين تعاقب الليل والنهار وبين اليقظة والمنام"[١]، إلى أن جاء جبريل عليه السلام وكان النبي عليه السلام نائماً فقال: "إقرأ، فرد محمد، ما أنا بقارئ، فانقضّ عليه ذلك الشخص، فشده، فجعل ذلك النمط في عنقه وغته حتى ظن أنه الموت ثم أرسله"[٢]، وكرر ذلك ثلاثاً، فقال محمد: "ماذا أقرأ"[٣].

وهنا يظهر درمنغم دور السيدة خديجة رضي الله عنها، ليس كزوجة مؤمنة بزوجها وحنونة عليه وحسب، وإنما كوسيط بينه وبين ابن عمها ورقة بن نوفل الذي أخبرها أن الذي ينزل على محمد عليه السلام هو الناموس، والمقصود ملك الوحي جبريل، مغلّفاً هذه المنهجية الإنتقائية لأحداث السيرة بتتبع نزول الوحي على النبي عليه السلام، وموروداً الآيات التي نزلت في بدء الوحي، وأوائل المؤمنين به وهم خديجة وعلي وأبو بكر رضي الله عنهم، ومرحلة الدعوة السرية التي استمرت ثلاث سنوات.

وفي فصل لاحق، يتحدث درمنغم عن مرحلة الدعوة العلنية والآيات التي تحض عليها، وردة فعل قريش التي بالغت في أذية المسلمين الضعفاء، ومحاولاتها إغراء الرسول للرجوع عن دعوته، وموقفه الذي تعقد أكثر بعد تسفيه آلهة قريش، وبدء اتصاله بالقبائل والهجرة الأولى إلى الحبشة، مسهباً في الحديث عن بعض الشخصيات التي كان لها دور بارز في هذه المرحلة.

---

(١) درمنغم، حياة محمد، ص٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٠.

(٣) أورد درمنغم قصة نزول الوحي على النبي (ﷺ) معتمداً على ما جاء في كتب السيرة النبوية، كسيرة ابن هشام، لكنه لم يورد تتمة النص (ما أقول ذلك إلا اقتداء منه أن يعود إلى بمثل ما صنع بي) والذي فسر بأنه محاولة للتخلص مما كان يفعل به. انظر: السهيلي، أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد أبي الحسن الجشعمي، (ت ٥٨١هـ)، الروض الأنف [شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، ١٩٧١] ج١، ص٢٦٩.
وعبارة (ما أقرأ) تعني عدم معرفة القراءة لأنه (ما) هنا نافية للقراءة وليست استفهامية. انظر: ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية [ط١، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦] ج٣، ص٧.

ينحو درمنغم في هذا الجزء منحاً فلسفياً في حديثه عن الخير والشر، ودوافعهما في النفس الإنسانية في كل زمان ومكان، مستعرضاً بعض المقارنات بين "الفرّيسيين الذين ناهضوا المسيح، وقريش التي اضطهدت محمد"[١] عليه السلام، موضحاً أنه "لم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للمؤمنين ولمحمد"[٢] عليه السلام، مستر سلاً في ذكر العديد من الآيات التي تصف يوم الحساب والعقاب والنار والجنة، وتساءل عن إنكار قريش لفكرة البعث التي لا تعتبر اصعب من فكرة الخلق[٣]، فيعتبرهم غير مقدرين تلك المنّة "إذ أرسل إليهم (أي العرب) نبياً منهم يحكي بلسانهم فيساويهم بغيرهم من الكتابيين"[٤].

إسلام حمزة وعمر

يعود درمنغم، وبانتقائيته المعروفة للأحداث التاريخية، ليتحدث عن إسلام حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول عليه السلام وعمر بن الخطاب رضي الله عنه مع تأشير سمات شخصية كل منهما وأثرهما على الدعوة الإسلامية.

كما يوجز قصة الصحيفة التي تعاهدت قريش فيها على مقاطعة الرسول عليه السلام وبني هاشم في شعب أبي طالب لمدة ثلاث سنوات، وأثر وفاة أبي طالب والسيدة خديجة رضي الله عنهم في العام نفسه الذي سمي بعام الحزن حيث يستمر الرسول رغم آلامه وأحزانه في بث دعوته وزيارته الى الطائف وما لاقاه من بني ثقيف.

ويضمّن هذا المحور رأيه في موضوع الإسراء والمعراج حيث يقول: "وقد اختلف في مسألة وقوع الإسراء والمعراج، بالجسد والروح أو بالروح وحدها، ويبدو أن ما دار من الجدل لا يعدو حد اللغو ما دمنا لا نرى للمعراج ما يمتاز به من رؤى الذبي والأولياء التي صحت روايتها والتي لم تصح، والمهم في أمر المعراج هو اتخاذه أساساً لتأملات كثيرة من متصوفي الإسلام الروحية"[٥]، كما يورد أعلاه الرسول لخبر إسرائه ومعراجه، وكيف صدقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والذي لأجله لُقِّب بالصديق[٦].

---

(١) درمنغم، حياة محمد، ص١١٥.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٢.
(٣) المصدر نفسه، ص١٠٥
(٤) المصدر نفسه، ص١٠٧.
(٥) درمنغم، حياة محمد، ص١٥٥.
(٦) المصدر نفسه، ص١٥٧.

الهجرة (٦٢٢م)

بدأ هذا الجزء من الكتاب بحديث نبوي شريف إستقاهُ من صحيح البخاري وأردفه بنص من إنجيل لوقا، ينطويان على المضمون نفسه من حيث كون الأجر عند الله بحسب النوايا، وقدر الأعمال، ويقصد بهذه المقدمة أهل بيعة الرجال، بيعة العقبة الثانية التي تحدث عن تفاصيلها.

يسرد درمنغم بعدها قصة هجرة النبي إلى المدينة، معرّجاً على حكاية سراقه، ومبيّناً موقفه من معجزات الغار الثلاث وهي "نسيج عنكبوت، وغرام حمامة، ونمو شجرة، وهي خوارق ثلاث نجد لها نظائر في أرض الله كل يوم"(١) ويعتبرها الوحيدة في التاريخ سلامي.

المحور الرابع: النصرانية والإسلام

يفصح درمنغم في هذا الفصل عن دعوته الى التقارب بين المسيحية والإسلام، ويعتبر أنه يمكن أن تسود بين الفريقين روح المحبة والسلام التي دعا إليها كل من المسيح ومحمد عليهما سلام الله.

ويعتبر "أن محمداً دعا قومه إلى التوحيد، كما وخاطبهم بكتاب عربي ملائم لما في التوراة والزبور والإنجيل، مستشهداً في الغالب بما في هذه الكتب المنزلة كما لو كان نصرانياً ذاكراً أنه واحد من الأنبياء"(٢).

ويفرد فقرات عدة ليثبت من خلالها أوجه الشبه بين الإسلام والنصرانية "الصحيحة"(٣)، "وأن محمداً مُني بالكثير من الشبهات من الغرب الذي كان سباقاً إلى إحداث الخلاف مع المسلمين"(٤)، إلا "أن النصرانية تشتمل على الإسلام وتضيف إليه بعض الشيء وأنه لا تناقض بينهما"(٥).

---

(١) درمنغم، حياة محمد، ص١٦٩: لم يكتف درمنغم بالإشارة إلى محدودية المعجزات التي رافقت بعثة النبي محمد، بل قلل من أهميتها باعتبار وجود نظائر لها في أرض الله كل يوم. وفي هذه الحال، يتجاهل درمنغم أن حياة النبي سجل حافل بالخوارق التي صاحبت مقدمه عليه السلام لا بل قبل أن تحمل به أمه وما رافق حملها من بشائر ونبوءات وما صاحبه عند ولادته وطفولته حتى قبل مبعثه وما بعده. فما من خارقة أيد الله بها نبياً إلا أيد محمد عليه السلام بأعظم منها.

(٢) درمنغم، حياة محمد، ص١٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٢.

(٤) المصدر نفسه ص١٤٠.

(٥) المصدر نفسه، ص١٤٣.

لكن درمنغم يعزف في هذا المحور على الأوتار نفسها التي عزف عليها العديد من المستشرقين حول تأثر محمد بالنصرانية، إذ يستعرض المؤلف وبتفصيل موضوع تواجد النصرانية كأشخاص في مكة والجزيرة من خلال استعراضه للقبائل المتنصرة، وبعض الأسماء المعروفة التي خدمت في بيوتات قرشية لم يخلُ أي منها من خادم نصراني، مشيراً إلى علاقة محمد (ﷺ) بالبعض منهم، ما يوحي بتأثير النصرانية في النبي كإطار لدعوى تفيد بأن رسالة محمد هي ما تعلمه من النصرانية المنتشرة في كل الأماكن التي يمكن أن يتواجد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام.

المحور الخامس: المدينة ومعارك الإسلام الأولى

يثرب أو المدينة، مكان استقرار النبي والمؤمنين به، وهو حيث نظم فيها أمور دولته على أسس مدنية جديدة، وهذا "ما لم يصنعه مثله مؤسسو الديانات إلا نادراً"[١].

كان محمد نبياً وقائداً وسياسياً في آن واحد، عاهد اليهود على حمايتهم والعرب الذين لم يدخلوا في الإسلام، آخى بين المهاجرين والأنصار الذين ابدوا من حسن الضيافة والكرم الشيء الكثير.

وصف درمنغم تقشف المهاجرين وعملهم بالزراعة والتجارة، تخفيفاً منهم عن كاهل الأنصار.

وفي الوقت الذي يتحدث فيه عن أخلاق الذبي "الذي لم يكن طماعاً ولا صلفاً بل رحيماً متواضعاً محباً للأطفال رفيقاً بخدمه، حليماً حكيماً في فض المنازعات التي تعرض عليه"[٢]، نجده مضيفاً مقتنيات الرسول عليه السلام من الهدايا الثمينة التي تلقاها من الملوك، وخاصة ذلك "الثوب الذي تعادل قيمته ثلاثمائة جمل"[٣].

غزوة بدر

يرفض النبي العنف إذا كان تأييداً لظلم أو شفاءً لحقد.

أما الجهاد فبذرته موجودة في ذهن النبي (ﷺ) منذ بيعة العقبة الثانية، والحرب وسيلة وحيدة لإنقاذ المسلمين، "لقد لاقوا أذى كبيراً من قريش وكانت سبباً في هجر ديارهم وأموالهم وتعذيبهم"[٤].

يعرف درمنغم بأن الإسلام لم ينتشر بحد السيف كما أشيع، حيث "لا إكراه في الدين" وأن القرآن يرسي أسلوب تعامل الذبي وأصحابه في المغازي. وحين يعقد

---

(١) درمنغم، حياة محمد، ص١٧٥.
(٢) المصدر نفسه، ص١٨٦.
(٣) المصدر نفسه، ص١٨٤.
(٤) المصدر نفسه، ص١٩٤.

مقارنة بين أول شهيد[1] نصراني (القديس إتيان) وأول شهيد في الإسلام (خبيب بن عدي)، يعتبر الأول أكثر تسامحاً، كما يسهب في الحديث عن المغانم التي كانت سبباً لجهاد بعض المسلمين، إلا أن الرسول (ﷺ) نظمها بحسب ما أمره الله.

و يأتي الحديث عن معركة بدر، بدءاً من ظروفها ومجرياتها واستعدادات الطرفين لها، وتفاصيل ما دار خلالها، كاشفاً عن عمق إيمان النبي وأصحابه بالله الواحد الأحد، وكذلك سلوك النبي مع الأسرى، ليصل إلى القول بتزامن نصر المسلمين في بدر على قريش مع نصر الروم على الفرس (كما أخبره القرآن) [2].

مكة تستعد للثأر

حزن قريش كان كبيراً، فقد خسرت المعركة في بدر، وفقدت العديد من أشرافها قتلى، فتولى أبو سفيان مهمة إعدادها للثأر.

بعث العباس (عم النبي) برسالة إلى محمد عليه السلام يخبره فيها بما تنويه قريش، فاستعد الطرفان، ووقعت معركة أحد التي انهزم فيها المسلمون نتيجة عدم التزام الرماة الذين تلقوا أمراً بالثبات في مكان معين.

يعزف درمنغم على وتر الغنائم مرة أخرى[3]، و هي التي كانت سبباً في خسارة معركة أحد، كما يلمح إلى استخدام الخمر كعامل مساعد على ثبات المسلمين "حيث أنها لم تكن قد حُرّمت بعد[4].

الخندق

استعدت قريش مجدداً بعشرة آلاف مقاتل بالتحالف مع بعض القبائل، لاحتلال مدينة النبي، فتحصن المسلمون وراء الخندق الذي حفروه حول المدينة، وأبانوا قدراً عالياً من الصمود والشجاعة، الأمر الذي أعيا المشركين، فجاءتهم ريح عاتية قضت على آمالهم باحتلال المدينة، ودحرتهم وانتصر المسلمون.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٩٥.

(٢) درمنغم، حياة محمد، ص٢١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٤٥.

اليهود

يروي درمنغم الأحداث التي جرت بين النبي محمد (ﷺ) وبين اليهود في أكثر من فصل، وذلك بأسلوب قصصي مثير للعطف والشفقة، فتراه يعدد مساوئ اليهود بأسلوب يبدو لك بأنها أعمال عادية لا تستوجب ما جرى لهم على أيدي المسلمين من تهجير وقتل وغيره.

يعتبر بأن القرن السادس الميلادي هو قرن الشعراء العباقرة الذين تجلت في قصائدهم الروح اليهودية والنصرانية[١]، ما هيأ النفوس لتقبل الإسلام. وعلى الرغم من معاهدة النبي لليهود بعد استقراره في المدينة وحرصه على أن يكونوا موالين له باعتبارهم أصحاب كتاب، إلا أنهم أظهروا استياء من انتصار المسلمين في بدر، ورثى كعب بن الأشرف – وهو من زعمائهم، قتلى قريش، وجهر اليهود بكرههم للإسلام[٢].

وهكذا كانت المعركة الأولى في حصار "بني قينقاع" بسبب مقتل أحد المسلمين الذين تحوّلوا بعدها عن القدس إلى الكعبة قبلتهم الجديدة[٣].

وفي أعقاب خسارة معركة أحد، وقعت معركة مع اليهود الذين راحوا يدسّون على الإسلام وظهر منهم ما يدل على خيانتهم للعهود مع النبي، فكان حصار "بني النضير" وإجلائهم عن المدينة.

ويبدو أن درمنغم لا يرى في الخيانة أمراً يستوجب العقاب، حيث يعتبر بأن المسلمين يتلذذون بسفك الدماء والقتل[٤] خلال تعاملهم مع خيانة بني قريضة للنبي والمسلمين في معركة الخندق حيث ترك الرسول أمر الحكم عليهم لحليفهم (سعد بن معاذ)، فأمر الأخير بقتل الرجال منهم وسبي النساء وغنم أموالهم.

وكان أن تجمع بعض من يهود بني نضير وغيرهم في آخر معقل لليهود في واحة خيبر التي فتحها المسلمون بعد صلح الحديبية وغنموا فيها غنماً كبيراً وانتهت معها مشاكل المسلمين مع اليهود في الجزيرة العربية.

المحور السادس: زوجات النبي (ﷺ)

خصص درمنغم فصلاً بعنوان "زينب" والمقصود بها زينب بنت جحش رضي الله عنها والتي ركز على دخول الرسول (ﷺ) بها كثيراً، في محاولة لتضخيم التفسير الجنسي في تاريخ السيرة النبوية، ومستهلاً هذا الزواج بأطروحة زوجات النبي عليه

---

(١) درمنغم، حياة محمد، ص٢٢٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٢٧.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٣٨.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٦٦.

السلام، حيث يقول: "شعر محمد في العقد الأخير من عمره بميل كبير للنساء. بلغ محمد عليه السلام المدينة وصار رئيس دولة وقائد حرب، فأقام لنفسه بيتاً كبيوت سادات العرب وأبرم عقود نكاح كثيرة، عن حب وعن سياسة فضلاً عن عدم زهده في سراري جميلات عرضن عليه هدية أو نالهن سبياً"[١].

ثم ينتقل المؤلف من زواج الرسول عليه السلام بزينب رضي الله عنها إلى موضوع خطير يتفق وهذا التفسير، فقد جعل حادثة الإفك ميداناً لحشره (أي هذا التفسير) من خلال قصة عائشة رضي الله عنها وفقدانها للعقد في طريق العودة من غزوة بني المصطلق، متحدثاً عن حزن النبي الشديد الذي لم يزل إلا بنزول الآية التي برأت عائشة مما اتهمت به.

ويردف درمنغم هاتين الفكرتين، كلاً منهما بفصل منفرد عن الحريم، بدلاً من زيجات الرسول عليه السلام، مبرزاً فكرة الحريم التي أطلقها المستشرقون والباحثون الأجانب عن حريم الخلفاء، بمعنى تعدد الجواري وتعدد الزوجات.

هنا يبدو بأن المؤلف اعتبر ان هذا الموضوع يحتل مركزا متقدما في قائمة إهتمامات النبي، فأتى على ذكر زوجاته جميعهن تقريباً، وسبب وظروف زواجه من كل منهن، وتفاصيل عن حياة النبي عليه السلام الأسرية في إثارة بالغة الدلالة على تأثير النساء في حياة الرسول (ﷺ)، ليختم مبحثه بطرح رأي غير قاطع بخصوص تعدد الزوجات على الرغم من حسناته والقيود التي فرضها فيه الإسلام، وما نالته المرأة مع مجيء الإسلام من مكانة متميزة في المجتمع، إلا أنه يود "لو لم يجعل النبي من نفسه المثل في أمر تعدد الزوجات"[٢].

المحور السابع: رسول الله - النصر - حجة الوداع - الوفاة

يتعرض درمنغم إلى سبب ظهور الإسلام، ديناً كغيره من الأديان السابقة المنزلة، مستعرضاً العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وسيرة الرسول "الأمي التقي الفطري الكامل الطليق"[٣]، معتبراً القرآن معجزة الإسلام الذي تحدى به محمد الإنس والجن أن يأتوا بمثله.

وما يسجل لدرمنغم في هذا المجال رفضه فكرة الصرع التي اتهم بها الرسول من بعض المستشرقين أو حتى المرض حيث يقول: "والحق أن محمداً كان مبرأ من مثل هذه الأمراض"[٤]، وأن محمداً ابعد ما يكون عن أن يؤلف هذا القرآن الذي

---

(١) درمنغم، حياة محمد، ص٢٩١.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٢٣.
(٣) درمنغم، حياة محمد، ص٢٧٠.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٧٥.

اختير له نص رسمي بعد وفاته بسبعين سنة[١]حيث يلمح إلى إمكانية الشك بتحريفه قائلاً: "وفي القرآن حشر للآيات في غير موضعها غير قليل.. وكيف يعرف في القرآن وجود تحريف حواش وحذف وإلى أي حد؟"[٢].

ثم يتحدث عن آداب الإسلام وتعاليمه ذات الأثر العظيم في حياة العرب، وتقدم الأسرة والمجتمع الإسلامي بشكل عملي، بالإضافة لما فيه من تعاليم ومبادئ آخروية عبرت عنها العبادات التي فرضت على المسلمين "لتوثيق أواصر المجتمع وزرع التقوى في القلوب"[٣].

لذا ومع كل ما سطره درمنغم من أفكار وتفسيرات، كان لا بد له أن يعترف بانتصار الإسلام، فكان الفصل المعنون (بالنصر) في رأينا تهديماً مطلقاً لكل ما حاول إظهاره من عوامل الإنحلال في سيرة النبي والدولة العربية الإسلامية، حيث تحدث فيه عن فتح مكة وتحطيم أوثانها، وإسلام العديد من الشخصيات المهمة من العرب، وردود بعض ملوك ذلك الزمان على رسائل النبي إليهم، والتي كان منها الإيجابي ومنها السلبي.

ووصف في فصل آخر (حجة الوداع) الدور التاريخي الذي التصق بالعرب بعد أن بات لهم مبدأ واحد وأصبحوا من القوة والسيادة بأن صار لهم شأن كبير وهم كانوا أهلاً لهذا الشأن.

ويختم درمنغم كتابه بوصف حال النبي (ﷺ) في أواخر لحظاته وشدة معاناته من المرض إلى أن انتقل إلى جوار ربه.

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٨٢.

استعراض موجز لمحاور كتاب درمنغم

يمتاز كتاب درمنغم (حياة محمد) بغنى المعلومات والأخبار المفصلة، والوصف الشامل للأماكن والأشخاص والمواقف التي تعرض لها الكاتب.

وعلى الرغم من عنونة فصول كتابه بحسب الموضوعات التي تطرق لها، إلا أنه تضمن تفاصيلاً لموضوعات أخرى غير مشمولة بالعناوين.

ومع إقراره بنبوة محمد (ﷺ) ورفضه لافتراءات وأكاذيب بعض المستشرقين الآخرين الذين كتبوا في السيرة النبوية الشريفة، بالإضافة إلى موقفه الرافض لإجبار عرب المغرب على اعتناق المسيحية بالإكراه، على عكس سياسة بلاده، ولد لدى مجموعة من الكتاب العرب إنطباع إيجابي عن درمنغم دفعهم الى الإشادة به وبكتابه (حياة محمد).

في الواقع، جهد درمنغم نفسه معتمداً على مصادر عربية إسلامية وبالأخص مؤلفات السيرة النبوية لتصوير حياة النبي محمد (ﷺ) بأسلوب لا يخلو من الأدب الذي يتخلله عنصر الخيال الملحمي.

يُعتبر من بين المستشرقين المتميزين بهذا الأسلوب وذلك على حساب المنهج العلمي في دراسة التاريخ.

جاء في كتابه الغث والسمين من الآراء المبنية على أحداث ومعلومات مجتزأة ومنتقاة من تاريخنا العربي الإسلامي، وهو سعى بالفعل إلى رسم شخصية للرسول الكريم يقدمها الى القارئ الفرنسي العادي وربما المثقف على صيغة مسرحية بطلها محمد (ﷺ).

وبذلك، وتحقيقاً للعرض المركز لهذه الأفكار، نرصد أهم الموضوعات التي تطرق لها الكاتب:

أولاً: يعتقد درمنغم أن الاختلاف بين الإسلام والنصرانية الحقيقية ينحصر في الموقف من موضوع صلب المسيح (عليه السلام)، ويعتقد أن الآية القرآنية محل الخلاف لا تكفي لإقامة حاجز بين الإسلام والنصرانية، مضيفاً أن ثمة آيات أخرى تناقض هذه الآية الغريبة بحسب رأيه. كما يلمح إلى أن القرآن كتب بعد سبعين عاماً من وفاة الرسول، وكان خالياً من الحركات والتشكيل، بمعنى إمكانية التلاوة على أوجه مختلفة، بالإضافة إلى أن الخليفة عثمان، لدى جمعه القرآن، أتلف كل النسخ ما عدا واحدة هي الباقية حتى اليوم، وعلى هذا الأساس يطلق دعوته للتقريب بين الإسلام والمسيحية لما يرى فيه تشابهاً كبيراً بينهما.

ثانياً: يعترف أن القرآن ليس من صنيعة محمد (ﷺ) إلا أنه يرى بأن هناك حشراً لآيات في غير موضعها، ويخلص إلى القول إن نصوص القرآن صحيحة على الرغم من اختلاط آياته.

ثالثاً: يتحدث عن النبي (ﷺ) وكأنه فرد عادي، خاضع للرغبات والشهوات والغرائز، واصفاً حقيقة يرددها و هي أن الله تعالى اختاره من بين الناس، في حين يغفل عصمة الأنبياء في مواقف عدة، ويعتبر أن محمداً (ﷺ) وإن كان قد أخطأ، إلا أنه لا يكذب. كما رفض فكرة إصابة النبي بالصرع.

رابعاً: تكاد لا تخلو صفحات كتابه من أفكار يربط فيها بين النصرانية والإسلام، سواء كان باستشهاداته بالقساوسة والرهبان والكنائس أم الأفكار والمبادئ، ويرمي من خلالها إلى التأكيد بأنه لا مراء في أن للنصرانية أثراً في محمد عليه السلام.

خامساً: يصف العرب بالسذّج والفوضويين ويعتبر أن للغنائم النصيب الأوفر في جهادهم وكذلك إسلامهم، وأن شجاعتهم تتجلى الى حد الإستماتة في سبيلها، وأن مغازي الرسول شبيهة بعادات الغزو عند العرب في الجاهلية.

سادساً: شكل موضوع الزوجات محوراً أساسياً في نظرته الى الحياة الخاصة للرسول عليه السلام. فقد صوّر انشغال النبي بنسائه بما لا يليق بمن أسس دولة عقائدية غيرت مجرى التاريخ الإنساني، في الوقت نفسه الذي يطرح فيه تساؤله: أليس تعدد الزوجات الشرعي أفضل من تعدد الزوجات السري؟.

سابعاً: أظهر في غير موضع من كتابه تعاطفاً ملحوظاً مع اليهود الذين صوّر تآمرهم على النبي (ﷺ) والإسلام وخياناتهم ونقضهم للعهود والمواثيق ودسائسهم ومحاولاتهم قتل النبي عليه السلام. دون مستوى رد فعل المسلمين عليهم، بما ألحقوه بهم من قتل وتهجير وسبي، حيث كان يكتفي بإشارة بسيطة إلى أفعالهم، في حين يسهب في شرح وتفصيل رد الفعل الإسلامي عليهم.

ثامناً: شكك في إسلام العديد من أصحاب النبي، فتعرض إلى أصولهم وأنسابهم معتبراً أن العديد منهم إنما كان إسلامه من باب محاباة الرسول عليه السلام الذي مثل القوة والسلطة، واصفاً البعض منهم بالقتلة أو الطامعين بالخلافة أو بالتابعين السذج.

الخلاصة

يلاحظ من خلال استعراض الكتابات الإستشراقية الفرنسية في السيرة النبوية اختلاف واضح في النظرة الى شخصية الرسول (ﷺ)، تراوح بين الإيمان به كرسول يوحى إليه من رب العالمين، وبين الرفض لشخصه ورسالته.

منهم من اتبع بعض هذه الأفكار الجاهزة عن سيرة الرسول (ﷺ) والمتوارثة من مؤرخي العصور الأوروبية الوسطى والتي كانت مدفوعة أولاً وبالدرجة الأساس للدس وإثارة الضغينة ضد الإسلام ونبيه، فجاءت تفسيرات بعيدة عن الحقيقة.

في المقابل، كانت هناك كتابات لا يمكن أن نقلل من أهمية الجهود التي بذلت فيها ومن أصالتها وقيمتها العلمية، وقد مثلت اتجاهين يتفقان في النظرة الإيجابية الى الرسول (ﷺ) كمصلح إجتماعي وعبقري متميز وبطل سياسي، الا انهما يختلفان في موضوع نبوّته، فمنهم من اعترف به نبياً مرسلاً من رب العالمين للبشرية كافة، الى الحد الذي اعتنق معه بعضهم الإسلام ديناً.

كما يلاحظ أن هذه الكتابات لم تلتزم خطاً مباشراً مستقيماً في عملية النقد التاريخي المحايد.

إن مرور الزمن والجهد والجدية في التعمق والتحليل الذي بذله البعض منهم للوصول إلى الأحكام العامة، ومحاولات استخدام منهج البحث وأدواته في الدراسات التاريخية، فضلاً عن التخصص الدقيق في الأديان والسلالات، والحصول على المخطوطات الأصيلة ودراستها، كل ذلك جعل المؤلفات في موضوع السيرة النبوية تأخذ شكلاً جديداً اختلف فيها أسلوب التعبير عمّا كان عليه في القرون الوسطى، كما جعل هذه المؤلفات غنية بالمعلومات والتفصيلات عن التاريخ الإسلامي.

إلا أن اتباع المنهج العلمي لا يعني بالضرورة أن تكون هذه النتاجات منصفة ونزيهة، كما لا يعني أنه لا يمكن جمع الحالتين، بل بالعكس إذ ان العلمية والنزاهة قد تجتمعان في باحث وتفترقان عند آخر، وأكثر من ذلك قد تجتمعان وتفترقان عند باحث واحد من زمن إلى آخر.

وهذا لا يعني أن نطالب المستشرقين جميعهم بأن يكتبوا ما نراه نحن صحيحاً وحقيقياً، خصوصاً إذا وضح حسن النية لأننا لا يمكن أن نجرد النفس البشرية من

المؤثرات الخاصة والعواطف•، كما أن الفهم الدقيق لأسرار اللغة العربية كان في كثير من الأحيان حائلاً دون وصول الكثير من المستشرقين الى تفسير دقيق للكثير من القضايا أو سبباً في الكثير من الأخطاء التي وقعوا فيها [١].

يقول كلود كاهن[٢]: "إن سيرة النبي (ﷺ) التي اتبعها المستشرقون أثارت فينا شيئاً من الإرتباك تبعاً لعقيدتنا".

هذا يعني أن الكتابة في موضوع السيرة تأثر بهذا الإرتباك في تفسير أحداث وقعت منذ قرون في بيئة اتسمت بظروفها الجغرافية والاجتماعية والعقائدية المختلفة. وقد أسقطوا تأثيرات البيئة المعاصرة على الوقائع التاريخية[٣].

كما انتقد اتيان دينيه[٤] كتابات بعض المستشرقين التي تناولت سيرة الذبي (ﷺ) "التي لم تتمكن من التخلص من نزعة الأحكام المسبقة"، موضحاً أن الكثير من المستشرقين الذين يؤرخون في موضوع السيرة، يحاولون أن يؤيدوا آراءهم بهدم بعض الأخبار وبناء أخبار تقوم مقام ما هدموا، فتكون النتيجة صورة مشوهة للذبي (ﷺ) حتى يخيل إلينا أننا نسمع محمد (ﷺ) في مؤلفاتهم، وكأنه يتحدث باللغة الألمانية أو الإنكليزية أو الفرنسية، ولا نتمثله قط بهذه العقلية والطباع التي ألصقوها بالنبي (ﷺ).

وأرجع أيضاً أسباب ذلك الخطأ الفادح بالمنهاج إلى جهلهم بالكثير من العوامل المهمة "كالزمن والبيئة والعادات والأهم من ذلك كله عدم قدرتهم على إدراك تلك القوى الباطنية التي لا تقع تحت مقاييس المعقول"[٥].

وفوق كل ذلك، حاول بعضهم تفسير أحداث السيرة من خلال قوالب أيديولوجية وفكرية، أو دوافع سياسية واستعمارية، ولذلك تمحورت كتاباتهم في زاوية ضيقة من اللاموضوعية.

أما المؤرخون والكتاب العرب المسلمين، فقد اختلفت آراؤهم حول الكتابات الإستشراقية الفرنسية للسيرة النبوية، فمنهم من رأى الفرنسيين أشد المستشرقين تعصباً ضد الإسلام ورسوله، "حيث من النادر أن نقرأ شيئاً طيباً عن حياة الرسول

• كانت هذه ملاحظة للمستشرق الفرنسي أدوارد ميتوتييه خلال مقابلة مع الباحثة في بغداد، آذار ٢٠٠١.

(١) حسن، محمد عبدالغني، الإسلام بين الإنصاف والجحود، ص٩.

(٢) كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص١٨.

(٣) النمر، عبدالمنعم، الثقافة اسلامية بين الغزو والإستغزاء،[دار المعارف، مصر، ١٩٧٧] ص٧٨.

(٤) دينييه، محمد رسول الله، ص٤٢.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٣، انظر كذلك: محمود، عبدالحليم، أوروبا والإسلام [العصرية، لبنان، بلا] ص١٠٦.

لمستشرق فرنسي، ولو وجدت شيئاً طيباً فإن لسانه لا يطيعه في كتابته وإن قال تراه يتحفظ في قوله تحفظاً بالغاً حتى يخيل إليك أنه يخشى الوقوع في النار"[1]، وثمة رأي آخر يجد أن هناك الكثير من الإيجابية والعلمية في كتابات العديد من المستشرقين الفرنسيين[2].

(١) حمدان، نذير، الرسول في كتابات المستشرقين، ص٣٧. انظر كذلك: جبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص١٥، كذلك: البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي [ط٩، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨١]ص٥٥.

(٢) العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج٣، ص١١٥.